جهود العلامة محمد بن داود الصنهاجي (ابن آجْرُومْ) (672 – 723 هـ) في القراءات القرآنية "فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني أنموذجا"

د. خليد سرسار
أكاديمية فاس ـ مكناس
المغرب

تمهيد:

إن الدارس للتراث العلمي الإسلامي ليلمح الحضور البارز للعلماء الأمازيغ، من خلال إسهاماتهم القيمة في شتى العلوم الشرعية منها والآلية، نافسوا من خلالها إخوانهم العرب، وبرهنوا بذلك على صدق تعلقهم بدينهم، وشغفهم باللغة العربية لغة القرآن، فأسدوا خدمات جليلة للإسلام وأهله، حتى بلغت شهرتهم الآفاق، وكتب الله لعلمهم القبول بين أهله.

ومن هؤلاء الأعلام العلامة الشيخ الفقيه المقرئ المحقق، والنحوي المدقق، فريد دهره، ونخبة أهل عصره " أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي " (672 هـ– 723 هـ) المعروف " بابن آجْرُومْ "، من رعيل المدرسة المغربية في اللغة والقراءة، صاحب التصانيف العديدة، والتآليف الفريدة، التي تشهد على نبوغه، ورسوخ قدمه في العلم.

وإن اشتهر الإمام ابن آجْرُومْ بضلوعه في العربية خاصة من خلال " الآجْرُومْية " التي طبقت شهرتها الآفاق، وتلقاها العلماء والمتعلمون بالقبول، فإن القليل من يعرفه إماما في القراءات القرآنية، شيخا مبرزا فيها، رواية ودراية. وقد أسعفه تفننه في اللغة العربية في سبر أغوار علم القراءات، وكشف أسراره، وبيان خفي حججه وعلله، وتحرير مسائله. وتآليفه شواهد ناطقة على ذلك، خاصة مؤلفه الفريد الموسوم بـ " فرائد المعاني في شرح حرز الأماني "، فهو أنفس كتبه في هذا الفن وأجلها قدرا.

ولقد هالني شخصيا وأنا أقرأ " فرائد المعاني " فكر الإمام ابن آجْرُومْ الجامع المستوعب لشتى الفنون، من لغة، نحوها وصرفها، وأدب بارع، وقراءات، وفن حجاج. وقد اجتمع فيه من المحاسن ما تفرق في غيره من شروح الشاطبية.

وقد حاولت أن أعرض في هذه الورقة جهود الإمام ابن آجْرُومْ في خدمة القراءات القرآنية من خلال كتابه " فرائد المعاني " فالتأمت المادة العلمية في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ابن آجْرُومْ وصلته بعلم القراءات.

المبحث الثاني: آثاره القرائية.

المبحث الثالث: مؤلفه " فرائد المعاني في شرح حرز الأماني " – الصنعة التأليفية –.

المبحث الأول: ابن آجْرُومْ وصلته بعلم القراءات.

ترجمته:

هو محمد بن داود أبو عبد الله الصنهاجي الفاسي النحوي الفقيه المقرئ المالكي الأستاذ الشهير بابن آجْرُومْ، وهي كلمة بربرية معناها الفقير الصوفي وهي لقب تشريف تقوم مقام السيد في العربية.

قال الإمام السيوطي: " رأيت بخط ابن مكتوم في تذكرته قال: محمد بن محمد الصنهاجي أبو عبد الله من أهل فاس يعرف بأكروم نحوي مقرئ وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز في القراءات وغيرها... "[1].

وكان من لطائف الأقدار أن كانت ولادته في السنة ذاتها التي توفي فيها الإمام أبو عبد الله ابن مالك صاحب الألفية المشهورة الذي توفي سنة 672 هـ، حتى قال المترجمون في هذا التوافق العجيب " توفي نحوي وولد نحوي "[2]. توفي رحمه الله تعالى يوم الأحد بعد الزوال لعشر بقيت من صفر الخير عام 723 هـ.

وله إحدى وخمسون سنة، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بباب الجيزين المعروفة بباب الحمراء عن يمين باب الفتوح بمدينة فاس[3].

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

يعتبر من أكابر النحويين الذين أنجبتهم المدرسة المغربية، واشتهر بمقدمته "الآجْرُومية " التي كتب الله لها الذيوع والانتشار والقبول. وكان أيضا إماما في القراءات.لكن قل من الدارسين من يعرف نبوغه في هذا الفن، لشح المصادر في ذلك، حتى قال عنه الشيخ عبد الله كنون "وإن كنا لا نعرف شيئا عن نشأته ولا عن دراسته.."[4].

وقد أثنى عليه صفوة من العلماء وشهدوا له بالرسوخ في النحو والقراءات والآدب.

وما يهمنا هو بيان شهادتهم له بالنبوغ في علم القراءات، والإمامة فيها. قال عنه تاج الدين ابن مكتوم القيسي: " نحوي مقرئ، وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز في القراءات وغيرها... "[5].

ووصفه محمد بن المبارك في شرحه على المقدمة الموسوم بكنز العربية بأنه: "كان عارفا بالقراءات السبع، وقد وضع في علمها نظما ونثرا... "[6].

ووصفه الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن صالح المكودي (801 هـ) ب: " الأستاذ المحقق المقرئ المجود الحسابي الفرضي نجيب دهره وفريد عصره "[7].

وإيمانا منه بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق العلماء فقد تصدر للإقراء والتعليم، قال ابن القاضي في الجذوة: " إنه كان من مؤدبي أهل مدينة فاس "[8].

وقد عرف عنه رحمه الله تعالى " زهده الشخصي في المنصب والجاه، واختيار حياة التبتل العلمي والتفرغ للطلب والإفادة، عبر عن ذلك ولده " أبو المكارم منديل ":

لم نتكل في ارتفاع الصيت قط على ... شهادة الصوت من زيد كما اتكلوا

بلم نبع أجر تعليم القرآن بما بفنى من السوم في الدنيا كما فعلوا[9]

شيوخه في القراءات.

أما عن شيوخه فلم يذكر أحد من المترجمين شيئا، حتى قال الشيخ كنون " لم يذكرهم أحد ما عدا أبا حيان التوحيدي صاحب التفسير "[10].

لكن ابن آجْرُومْ نفسه ذكر بعض شيوخه في بعض مؤلفاته وهم:

1) أبوعبد الله بن القصاب.

وهو شيخه الذي أخذ عنه بفاس:"يعتبر رائد المدارس المغربية في أصول الاداء الخاصة بقراءة نافع، وصاحب أول مدرسة فنية اهتمت بهذه القراءة، ودرست أحكامها الخاصة، ووضعت معالم البحث والتأليفيها"[11].

والغريب أن هذا العلم الشامخ في اللغة والقراءات، فوتت التعريف به كتب التراجم عدا ما ذكره ابن مكتوم في تذييله على معرفة القراء الكبار للإمام الذهبي، حيث قال نقلا عن أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي:

"محمد بن علي بن عبد الحق الأنصاري، شهر بابن القصاب، من أهل فاس، يقرأ القرآن بالقراءات السبع، ويقرئ العربية أيضا، وتوفي سنة تسعين وستمائة، أفادنيه شيخنا العلامة أبو حيان الأندلسي وكتبته من خطه "[12].

وهذه الترجمة على وجازتها تخبر بمكانته العلمية، ومنزلته في القراءة والإقراء.

وقد اعتنى ابن آجْرُومْ في فرائد المعاني بذكر شيخه ابن القصاب قال في باب الاستعاذة: " وزاد شيخنا أبو عبد الله محمد بن القصاب ثلاثة لم أقف عليها لغيره: وهي أعوذ بالله المنان من الشيطان الفتان، أعوذ بالله وكلماته من الشيطان وهمزاته، أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم "[13]. وقال في باب الإدغام الكبير: " اختار شيخنا أبو عبد الله محمد بن القصاب مذهب ابن مجاهد (يحل لكم) و(يبتغ غير)... "[14].

2) أبو القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب القيسي الضرير.

قال عنه ابن الجزري: " القيسي الضرير، مقرئ ضابط عارف، كامل، علامة الغرب، إمام حاذق، ولد في حدود الثلاثين وستمائة بالجزيرة الخضراء، قرأ على خطيبها عبد الله الركيني، ثم قرأ على أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الشريشي "[15].

وقد ذكره الإمام ابن آجْرُومْ في كتاب " فرائد المعاني " عند شرح قول الشاطبي في باب المد:

وعن كلهم بالمد ما قبل ساكن بعند سكون الوقف وجهان أصلا[16]

قال: " وقد سألت عن ذلك شيخنا أبا القاسم بن الطيب الضرير فقال ما هذا نصه... "[17].

3) الإمام محمد بن يوسف أبو حيان النحوي الأندلسي.

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الجياني النفزي. ولد بغرناطة سنة 654 هـ، وتوفي بمصر سنة 745 هـ[18].

كان أبو حيان نحوي عصره ومفسره ومحدثه ومقرئه، وأديبه، قرأ القراءات على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحواً من عشرين ختمة إفرادا وجمعا، ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر أحمد الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة، ثم قرأ السبع إلى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد أبي الأحوص[19]. وهو صاحب التآليف العديدة، نذكر منها تفسيره الضخم: البحر المحيط، وارتشاف الضرب من لسان العرب، والتذييل والتكميل، والنافع في قراءات نافع....

قصده الكثير من الأكابر ممن رحل إلى الحج من المغاربة والأندلسيين، فقرأوا عليه وسمعوا منهم وأجازهم في ما رووا عنه، ومنهم الإمام أبو عبد الله بن آجْرُّومْ[20].

قال صاحب نيل الابتهاج: " ولما حج الأستاذ الأكبر أبوعبد الله ابن آجْرُّومْ استجاز أبا حيان فأجازه "[21]. وجاء في سلوة الأنفاس: " ولقي الشيخ أبا حيان وروى عنه، واستجازه فأجازه "[22].

وزاد محقق " فرائد المعاني " الدكتور عبد الرحيم نابولسي شيخا آخر لابن آجْرُّومْ قال بأنه تفرد بتحصيله، وهو " عبد الملك بن موسى أبو مروان " الذي ذكره ابن آجْرُّومْ عند شرح قول الشاطبي:

،الأخرى كمدِّ عند ورش وقنبل	،وقد قيل محض المدِّ عنه تبدلا

قال: " وكان شيخنا أبو مروان عبد الملك بن موسى... "[23].

وما ذهب إليه الأستاذ المحقق فيه نظر ما دمنا لا نعرف شيئا عن ترجمة أبي مروان عبد الملك بن موسى. فقد يكون من أهل الأداء الذين لم يتلق منهم مباشرة، أو يكون من أقرانه من العلماء لمكانته وسمه بلفظ شيخنا. والله أعلم.

المبحث الثاني: آثار ابن آجْرُّومْ ومؤلفاته في علم القراءات.

ترك الإمام ابن آجْرُّومْ رحمه الله تعالى آثاراً علمية قيمة في علم القراءات إضافة إلى ما اشتهر به من علم اللغة، تنبئ بإمامته في علم القراءات ونباهته فيه، رواية ودراية، وتبوئه مكانة العلماء المبرزين في هذا الفن.

1) الرجز المشهور الموسوم بـ " البارع في قراءة نافع "

وهو رجز في اثنتين وعشرين ومائة بيت، في أصول مقرأ نافع، برواية ورش وقالون وذكر الخلاف بين الروايتين. كان نظمه سنة 66 هـ، " قبل نظم ابن بري بسنة واحدة "[24].

استهل هذا النظم بقوله:

يقول من عفو الإله راجي	،عونه محمد الصنهاجي
الله أحمد الذي هدانا	ومن أن علمنا القرآنا
وخصنا بأكرم البريئة	محمد وخاتم النبوءة
صلى عليه الله من رسول	،وصحبه طرا ذوي التفضيل
وبعد فالقصد بهذا الرجز	مقرأ نافع بلفظ موجز[25]

2) التبصرة في نظم التيسير.

وهو رجز في نظم كتاب " التيسير " للإمام أبي عمرو الداني وهو من آثاره المفقودة، وقد ذكره ابن القاضي في كتابه " بيان الخلاف والتشهير... " حين قال: " وإليه أشار ابن آجْرُومْ في التبصرة في نظم التيسير:

وفي التلاق والتناد الخلفُ عن ابن مينا والكثير الحذفُ[26]

وذكره الإمام المنتوري في شرحه

3) روض المنافع.

وهو تأليف نثري في قراءة نافع ذكره الإمام المنتوري في شرحه على الدرر وأكثر النقل عنه.

4) فرائد المعاني في شرح حرز الأماني.

وهو شرح لطيف للشاطبية في القراءات السبع الموسومة بحرز الأماني ووجه التهاني للإمام القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد أبو القاسم الشاطبي الأندلسي (590 هـ).

وهو من الشروح المغربية النفيسة قال عنها الدكتور عبد الهادي حميتو: " وقد وجدت طلبة الدراسات الإسلامية يتهيبون الإقدام على تحقيقه حتى الآن "[27].

5) ألفات الوصل:

وهو رجز في ذكر ألفات الوصل في الأسماء والأفعال، ذكر الدكتور حميتو " أنه وقف على مخطوطة منه بخزانة أوقاف آسفي العتيقة "[28].

وذكر د. عبد الرحمن نابولسي في تقديم تحقيقه للكتاب " فرائد المعاني " أنه عثر على هذا الرجز في مجموع محمد رقم (288) ق – ص (293) يوجد بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط[29]. ثم نقل الرجز كاملا في ثلاثة عشر بيتا.

استهلها ابن آجْرُومْ قائلا:

يا سائلا عن ألفات الوصل في الحرف أو في الاسم أو في الفعل

المبحث الثالث: مؤلف " فرائد المعاني في شرح حرز الأماني " الصنعة التأليفية.

عنوان المؤلف:

" فرائد المعاني في شرح حرز الأماني " ومنهم من سماه بفوائد المعاني، والصواب الأول، كما صرح بذلك مؤلفه " ابن آجْرُومْ " في مخطوط باق بخط يده قال: " وسميته فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني "[30].

موضوع المؤلف:

" فرائد المعاني " هو شرح للقصيدة المسماة " حرز الأماني ووجه التهاني " في القراءات السبع لصاحبها الإمام القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد أبو القاسم الشاطبي الرعيني الأندلسي المتوفى 590 هـ. وقد اشتهرت هذه القصيدة على الألسن بالشاطبية، ولم تحظ منظومة بما حظيت به " الشاطبية " من العناية، راوية وحفظا ودراسة وشرحاً، ولا ينكر أحد اهتمام المغاربة بهذا الشرح الماتع، و" فرائد المعاني في شرح حرز الأماني " خير دليل على ذلك، الذي يعتبر من أهم شروح الشاطبية يضاهي الشروح الذي سبقته في بيان المعاني وتحرير المسائل، بلغة رصينة محكمة، تكشف عن مكانته الرفيعة بين الشروح التي سبقته، نذكر منها:

- فتح الوصيد في شرح القصيد لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي (643 هـ).
- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة لأبي عبد الله محمد بن الحسن الفاسي (656 هـ).
- كنز المعاني في شرح حرز الأماني لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المعروف بشعلة (656 هـ).
- إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة (665 هـ).

نسبة المؤلف إلى ابن آجْرُومْ.

لا خلاف في أن " فرائد المعاني " من تأليف الإمام عبد الله محمد بن داود الصنهاجي وحجة ذلك ثلاثة أمور الأول: تصريح الإمام ابن آجْرُومْ في مقدمة كتابه بقوله: " وسميته فرائد المعاني في شرح حرز الأماني "[31].

والثاني: إثبات المترجمين نسبة الكتاب لابن آجْرُومْ، قال الزركلي في الأعلام " وله فرائد المعاني في شرح حرز الأماني "[32].

وذكره أيضا الكتاني في سلوة النفاس قال: " وإن من تأليفه أيضا شرح حرز الأماني في القراءات "[33].

والثالث: صحة نسبة الكتاب لابن آجْرُومْ من خلال النقول التي نقلها عنه واستشهد بها بعض الأكابر من أهل هذا الفن منها:

- قول الإمام الشريشي في القصد النافع: " قال صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن آجْرُومْ رحمه الله: مع كونه اسما أعجميا لأنه كثيرا ما يخالف أحكام الأسماء العربية مع كونه بلغ غاية عدة حروف الأسماء سبعة أحرف، فمد الألف، وترك الياء لأن الياء أضعف "[34].

وذكره أيضا ابن القاضي في بيان الخلاف والتشهير، قال في سياق الحديث عن المد قبل الهمز المغير: " وقال ابن آجْرُومْ: الذي يظهر لي أنه يمد لا غير "[35].

وذكره ابن المجراد في إيضاح الأسرار والبدائع، وصرح بالمؤلف ونسبه إلى ابن آجْرُومْ في شرحه لقول ابن بري: وياء إسرائيل ذات قصر... قال: " وأما الوقف فقال ابن آجْرُومْ في فرائد المعاني... ثم ذكر النص كاملا "[36].

النسخ المخطوطة للمؤلف.

وكتاب " فرائد المعاني " توجد منه نسختان مخطوطتان بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط. الأولى تحت رقم 146 ق، عليها ختمان. الأول يحمل اسم الخزانة العامة بالرباط، والثاني اسم مكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت. وتقع النسخة الأولى في مجلدين ضخمين، أما الثانية فتقع في مجلد واحد يتضمن جزئين.

منهج ابن آجْرُومْ في " فرائد المعاني ".

التزم الإمام ابن آجْرُومْ في " فرائد المعاني " بالمنهج الذي أفصح عنه في مقدمة كتابه، فبعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبيه ﷺ وآله وصحبه، ذكَّر بفضل العلم بكتاب الله تعالى مشيرا إلى أن أحسن ما صنف في طرق قراءته، قصيدة أبي القاسم الشاطبية، ثم عطف على ذلك ببيان علاقته بهذا النظم، وذكر منهجه في فرائد المعاني، ثم انتقل إلى ترجمة موجزة للإمام الشاطبي، وذكر بعض أخباره، ناقلا عن أبي الحسن السخاوي، ثم ختم هذه المقدمة بذكر سند الإمام الشاطبي في القراءة[37].

بعد ذلك ابتدأ شرح القصيدة بيتا بيتا، على طريقة ترتيب الناظم بأبوابه وفصوله، وفق منهج اتسم بخصائص أساسية نذكر أهمها:

1) اهتمامه أولا ببيان المعنى العام المراد من البيت، مع توجيه القراءات.

من أمثلة ذلك قوله في شرح قول الشاطبي:

فإن ينفصل فالقصر بادِرهُ طالبا ... لخلفهما برويك درّا ومُحضَلاَ[38]

" ذكر في هذا البيت حكم الهمزة المنفصلة عن حروف المد واللين، وانفصالها منهن على قسمين... "[39].

وقوله في شرح قول الشاطبي:

وِمدك قبل الفتح والكسر حجة ... بها لُذْ وقبل الكسر خلفُ له ولاَ[40]

" ذكر في هذه الأبيات وفي ما يأتي الفصل بين الهمزتين على مذهب من سهل إحداهما، وعلى مذهب من حققهما "[41]

2) الاعتناء بشرح الألفاظ شرحا لغويان معززا بشواهد لأهل اللغة، كقوله في شرح قول الشاطبي:

" واضح الطُّلاَ " أصله: واضحٌ طُلاَهُ على رفع طُلاَهُ بواضِح، ثم أجري لك جرى (حسنُ الوجه) ومثله قول الشاعر:

لاحقٌ بطنِ بقراص ... ولا نص كلا حُبَّ وجْهُ ذكرته ... وفيها خلاف جيدهُ واضح الطُّلاَ سمينٍ[42].

3) توظيف الشواهد الشعرية في شرح الألفاظ: وفي ذلك

ومن أمثلة ذلك قوله في معرض الحديث عن ميم الجمع ومذهب القراء في إسكانها وضمها: " وحجة من ضمها مع الهمزة وأسكنها مع غير الهمزة: إرادة الجمع بين اللغتين، وعليهما قول الشاعر:

مَنْعٌ خيامهم أم عُشُرٌ ... م القلبُ في اثرهم مُنجدِ[43]

4) اهتمامه بإعراب مفردات الأبيات إعرابا وافيا، يظهر من خلالها نبوغه اللغوي، ومن ذلك قوله في شرح قول الشاطبي:

وسكن يؤدى مَعَ نَوَلِّهِ ونصله ونؤته منها فاعتبر صافيا حلا[44]

" ومع نوله " حال من المفعول كأنه قال: سكن يؤده في حال كونه كائنا مع نوله ونصله ونؤته منها. ونصب " صافيا " على أنه مفعول به لا غير "[45].

وعند شرح البيت:

واضرب جمع الهمزتين ثلاثة أأنذرتهم أم لم أئنا أأنزلا[46]

قوله: " وموضع قوله: " أأنذرتهم " رفع لأنه يدل من ثلاثة، وما بعده معطوف حذف حرف العطف "

5) التمهيد لكل باب من أبواب الأصول بمقدمة تتسم في الغالب بالإسهاب والتفصيل يعرف فيها بالحكم التجويدي ومذاهب القراء، مستدلا بأقوال أهل اللغة والقراءة.

ومن أمثلة ذلك قوله في مقدمة باب المد والقصر: " يجب أن نقدم مقدمة بين هذا الباب لنحيل عليها كلام الناظم إذا انتهينا إليه، فنقول: المد والقصر صفتان لثلاثة أحرف: الواو والياء والألف... "[47].

وقوله في باب " الهمز المفرد ": " لما فرغ مما اجتمعت فيه همزتان من كلمة أو كلمتين، أتبعه حكم الهمزة المنفردة وذلك في ثلاثة أبواب... "[48].

6) توجيه القراءات بذكر عللها، وتحرير مسائلها، وتعزيز ذلك بشواهد من أقوال أئمة اللغة والقراءة.

والأمثلة في ذلك كثيرة نذكر منها قوله في شرح قول الشاطبي في باب الهمزتين من كلمتين:

وقالون والبزي في الفتح وافقا وفي غيره كاليا والواو وسهلا

" وحجة قالون والبزي في اختصاص المفتوحتين بالإسقاط، واختصاص المضمومتين والمكسورتين بالتسهيل: أنا لتسهيل في المفتوحتين يؤدي إلى التقاء ألفين والتقاء ساكنين، والتقاء همزتين، لأن المفتوحة إذا سهلت بين بين، قربت من الألف الساكنة، وهو مع ذلك بزنة المتحركة. (وإليه فيها معتذر فعدل إلى الحذف ...) وذكر شيخنا أبو عبد الله القصاب رحمه الله: أن الذي منعه من التسهيل بين بين هو الخوف من اجتماع ساكنين... "[49].

وقال في باب ميم الجمع عند شرح قول الشاطبي:

وصِلْ ضَمَّ ميم الجمع قبل مُحَرَّكٍ وراكاً وقالونُ بتخييره جَلا[50]

" وحجة من ضم هذه الميم مع كل متحرك أنه أتى بها على الأصل، وذلك أنك إذا أردت اثنين زدت بعد الميم ألفاً، وإن أردت الجمع زدت واواً. قال سيبويه: ولم يفرقوا بالحركة وبالغوا في هذا "[51].

7) اعتماده صيغة السؤال والجواب: " فإن قيل... فالجواب... وهذا الأسلوب كثير في شرحه، غايته إثارة بعض الإشكالات التي قد يطرحها القارئ، والإجابة عنها، مع التنبيه على الفرائد والفوائد. كقوله في باب المد والقصر عند الحديث عن اختلاف أهل الأداء في المد الواقع قبل الهمز المسهل: " فإن قيل: ما وجه المد فيه متوسطا، لأنه إن مُدَّ بالحمل أو بالعلة فإنما يقتضي الإشباع؟ فالجواب: أن الهمزة متأخرة أقوى في إيجاب المد منها متقدمة... ".

ومن ذلك قوله في باب الهمزتين من كلمة: " فإن قيل: كيف يمُدُّ ورش الألف المبدلة نحو (أأنذرتهم) وبابه؟ فالجواب أن نقول: إن كان بعد ألف ساكن مدها مشبعة لأجل ذلك الساكن نحو (أشفقتم) و(أقررتم) وإن كان متحركا، جرت له فيها ثلاثة أوجه... "[52].

مصادر الكتاب.

باستقصاء السفر الأول من كتاب " فرائد المعاني " تبين أنه حوى مصادر عديدة من شتى الفنون، اعتمدها الإمام ابن آجْرُومْ في شرحه، توحي بسعة اطلاعه على مؤلفات سابقيه ومعاصرين في القراءة واللغة والآدب وغيرها من المصادر، وظفت أحسن توظيف في بسط عبارات الشرح، وبيان إشكالاته، وحل مسائله، كما صرح بذلك في مقدمته.

ويمكن تقييم هذه المصادر إلى قسمين:

1) المشافهة.

ونقصد بها الرواية الشفهية في النقل عن الشيوخ، وهي من المصادر التي اهتم بها العلماء في مؤلفاتهم.

ونجد ابن آجْرُومْ يورد ثلاثة مصادر شفهية من شيوخه الذين تلقى عنهم وهم:

- الإمام محمد بن علي بن عبد الحق أبو عبد الله الأنصاري الفارسي المعروف بابن القصاب (690 هـ)[53].

- الإمام أبو القاسم الضرير[54].

- الإمام أبو مروان عبد الملك بن موسى[55].

2) المصادر والكتب.

وهي مكون حاضر بجلاء في مادة الكتاب.

📖 شروح الشاطبية: اعتمد الإمام ابن آجْرُومْ في " فرائد المعاني " على شرحين للشاطبية هما:

1- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، لأبي عبد الله محمد بن حسن الفاسي، (656 هـ) وقد اعتنى الإمام ابن آجْرُومْ بالنقل عنه في أكثر من موضع.

ومثال ذلك عند قوله في باب الاستعاذة: " قال الفاسي في شرح هذين البيتين: " والذي أراه أن بشاعة اللفظ تنتفي مع وجود البسملة في أول القيامة وغيرها... "[56].

2- فتح الوصيد في شرح القصيد، لعلم الدين أبي الحسن بن محمد السخاوي (643 هـ). من ذلك قوله في باب البسملة قال أبو الحسن السخاوي في الخلاف المشار إليه عن ورش: إن أبا غانم المظفر بن حمدان المقرئ كان يأخذ بالتسمية بين السورتين في جميع القرآن... "[57].

📖 مصادر القراءات: وهي موكن أساس لمادة الكتاب. وقد استوعب المؤلف الكثير منها.

- السعة لابن مجاهد (ت 324 هـ).
- الحجة للقراء السبعة للفارسي (ت 377 هـ).
- الإرشاد لأبي الطيب عبد المنعم ابن غلبون (ت 389 هـ).
- التبصرة والكشف لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ).
- شرح الهداية للمهداوي (ت 440 هـ).
- جامع البيان والاقتصاد والتيسير والإيضاح، والإدغام الكبير للإمام أبي عمرو الداني (ت 444 هـ).
- الحصرية لأبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري (ت 488 هـ).
- الاقناع لابن الباذش أبي جعفر أحمد بن علي الأنصاري (ت 540 هـ).

📖 مصادر التفسير وعلوم القرآن:

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (ت 528 هـ).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (ت 546 هـ).
- معاني القرآن للآخفش (215 هـ).
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (311 هـ).

📖 مصادر اللغة من نحو وصرف:

- الكتاب لسبويه (ت 180 هـ) وقد نقل عنه ابن آجْرُومْ كثيرا، فهو من أهم موارده في اللغة.
- الهمز لأبي زيد الأنصاري (ت 2015 هـ).
- شرح كتاب سبويه للسيرافي (ت 368 هـ).

- أدب الكاتب لابن قتيبة (ت 276 هـ).

- الخصائص لابن جني (ت 392 هـ).

- الأفعال لابن القوطية (368 هـ).

- الفصيح لثعلب أبي العباس أحمد الشيباني (ت 291 هـ).

- الصحاح للجوهري (ت 393 هـ).

توجيهاته واختياراته في فرائد المعاني.

- التوجيهات.

يقصد بتوجيه القراءات أو الاحتجاج لها بيان الأسلوب العربي الذي جاءت عليه القراءات، وتعليل وجه ما ذهب إليه كل قارئ، قال عنه الإمام الزركشي: " فن جليل "، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى به أئمة أهل الأداء وأفردوا فيه كتبا[58].

ومن خلال استقراء السفر الأول من كتاب " فرائد المعاني " نلحظ أن ابن آجْرُومْ سلك منهجا فريدا في توجيه القراءات وتعليلها والاحتجاج لها، يمكن تلخيصه فيما يلي:

* ذكر توجيه القراءات وعللها بعد بيان مذاهب القراء في المسألة القرائية.

من أمثلة ذلك: قوله عند شرح قول الناظم: وعند سراط والسراط لقنبلا " وقوله عند سراط وهو الحرف الثاني، اختلف القراء فيه حيث وقع معرفا ومنكرا، فقرأه قنبل بالسين، وقرأه الباقون غير حمزة بالصاد، وقرأه خلف بإشمام الصاد زاياً ووافقه خلاد على قوله ﴿ ٱهدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾ لا غير، وقرأ سائره بالصاد كالجماعة "[59].

ثم بين بعد ذلك حجة كل وجه فقال: " وحجة من قرأ السراط بالسين أنه الأصل، وما جاء على الأصل فلا سؤال فيه... "[60].

* التعبير في الغالب بلفظ " وحجة كذا "، وقليلا ما يعبر بلفظ " وعلة... ".

ومن أمثلة ذلك قوله في باب ميم الجمع: " وحجة من أسكن هذه الميم مع كل متحرك... "[61].

وقوله في باب الإدغام الكبير: " وحجة أبي عمرو في استثنائه تاء المتكلم والمخاطب... "[62].

وقوله في باب هاء الكناية: " وحجة القراء غير ابن كثير في حذف الصلة إذا كان قبلها ساكن نحو (فيه هدىً)... "[63].

وأما مثال تعبيره بلفظ " العلة " فقوله في باب المد والقصر: " وأما (يواخذ) فالعلة في ترك مده أنه يحتمل وجهين... "[64].

* اعتماده في التوجيه والاحتجاج على الشواهد اللغوية من نحو وصرف وتعزيز ذلك بالشواهد الشعرية وأقوال العرب ولهجاتها.

ومثال ذلك قوله: " وحجة من مد الياء والواو في هذا الفصل أنه يشبههما بحروف المد واللين، وذلك أنهما ساكنان مثلهن... كما يقع في نحو: قال لَّك، ويقول لَّك... وكذلك أيضا يقعان ردفا مع حروف المد واللين، قال الشاعر وهو عمرو بن كلثوم:

كـأن مـتـونهـن مـتـون عـدر تصـفـقـهـن الرياح إذا جرينـا "[65]

* اعتماده على مصادر في توجيه القراءات بذكر أصحابها دون ذكر المصدر.

ومن أمثلة ذلك قوله في باب المد والقصر، عند بيان مستثنيات مد اللين: " قال أبو عمرو في حجة ورش في ترك مد (موئلا والموءودة)... " " قال أبو محمد وحجته في ترك المد في (موئلا)... "[66].

* التوسع والإسهاب في الاحتجاج للقراءات، وبيان علل وجوهها رغبة منه في كشف ما خفي من العلل، والإجابة عما يعرض له منها.

والأمثلة في ذلك كثيرة يرجع إليها في مظانها من المؤلف.

- الاختيارات.

اختيارات الإمام ابن آجْرُومْ القرائية تدل على استقلال فكره، وسعة اطلاعه على خلاف الأئمة من أهل الأداء. وإن كانت اختياراته قليلة بالنظر إلى التوجيهات، والاحتجاجات القرائية. ومن أمثلة ذلك:

* اختياره لفظ " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " عند الاستعاذة.

قال: " إنما يترجح ما اختاره القراء بالحديث المروي عن ابن مسعود إذا صح "[67].

* اختياره الجهر بالاستعاذة.

قال: " هو المعول عليه لجميع القراء "[68].

* اختياره السكت أو الوصل عند الأربع الزهر، ورده على من استحسن البسملة فيها.

قال: " الوقف أو السكت فيهن كاف، وقد رد عليهم الفصل بالبسملة في هذه المواضع، لأنهم يقعون فيما فروا منه... "[69].

* اختياره القطع بين الاستعاذة والبسملة والسورة.

قال: " الذي يجوز في أواخر السور ثلاثة أوجه: الوجهان المذكوران لمن ذكر، أو الوقف وهو لجميع القراء جائز، وهو القياس، وبه قرأت "[70].

* اختياره الوقف على " إسرائيل " بالمد الطبيعي.

قال: " وأما (إسرائيل) فلا يجوز فيه إلا الطبيعي كما كان في الوصل، لأنه إنما ترك مد الياء في الوصل خوفا من أن يجمع في كلمة واحدة بين مدتين، مع كونه أعجميا، وهذا بعينه موجود في الوقف "[71].

خاتمة:

في ختام هذا العرض يمكن تسجيل مجموعة من النتائج أهمها:

✍ الإمام " ابن آجْرُومْ " شخصية متميزة، وعالم متبحر في علوم اللغة نحوها وصرفها وأدبها، أسعفه ذلك في شرح القصيدة المشهورة " حرز الأماني ووجه التهاني " شرحا زاخرا بالفرائد والفوائد.

✍ جمعه رحمه الله بين القراءات والإقراء، شأنه شأن أعلام هذه الأمة وأكابرها من علماء القراءات الذين وقفوا أنفسهم على خدمة القرآن ونشر علومه.

✍ " فرائد المعاني في شرح حرز الأماني " شرح فريد، غزير المادة، حسن الصياغة، مستوعب لمذاهب القراء، وتوجيه القراءات، وبيان عللها، وشرح مسائلها.

✍ سعة اطلاع " ابن آجْرُومْ " ورسوخ قدمه في علم القراءات رواية ودراية، واعتماده على الكثير من المصادر اللغوية والقرائية، وتوظيفها أحسن توظيف.

✍ أمانته العلمية في عزو الأقوال لأهلها والآثار لأصحابها.

✍ بناء التوجيهات القرائية والاختيارات الأدائية على قواعد محكمة دقيقة، تلتزم بالرواية والدراية.

✍ عنايته بتحرير المسائل، ومباحثة الآراء القرائية، ومناقشتها، واستخلاص فوائدها وفرائدها.

توصيات:

– الاهتمام بآثار " ابن آجْرُومْ "القرائية خاصة مؤلفه " فرائد المعاني " بتحقيق الجزء الذي لم يحقق بعد.

– محاولة جمع اختياراته القرائية خاصة في قراءة نافع من خلال " فرائد المعاني " و" روض المنافع "

– تعميق البحث في جهوده اللغوية والقرائية ونشرها.

الهوامش:

[1] – جلال الدين السيوطي (911 ه) بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي سنة النشر 1964، 238/1 – 239.

[2] – ينظر محمد بن جعفر الكتاني (1345 ه)، سلوة الأنفاس، تحقيق: عبد الكامل الكتاني، دار الثقافة، الطبعة الأولى، 2004. سلوة الأنفاس، 126/2 – وعبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، تقديم: د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم، الطبعة 2010. ص 423.

[3] – ينظر سلوة الأنفاس، 127/2 – وابن هشام، شذرات الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت. 562/6. ومن مراجع ترجمته شروح مقدمته والحواشي عليها.

[4] – ذكريات مشاهير رجال المغرب، ص 423.

[5] – بغية الوعاة، 238/1 – 239.

[6] – كنز العربية، مخطوط لوحة 4.

[7] – عبد الرحمن بن علي المكودي (807 هـ)، شرح متن الأجرومية / تحقيق وتعليق أحمد بن إبراهيم بن عبد المولى المغيني / المكتبة الإسلامية مصر / الطبعة الأولى 1425 هـ، ص 25.

[8] – جذوة الاقتباس لابن القاضي، ص 221.

[9] – قراءة نافع عند المغاربة، ج 2، ص 357.

[10] – ذكريات مشاهير العرب، عبد الله كنون، ص 423.

[11] – د. عبد الهادي حميتو، قراءة نافع عند المغاربة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، 2003. ج 2، ص 337.

[12] – ينظر ابن آجروم، فرائد المعاني، تحقيق: د. عبد الرحيم نابولسي، رسالة الدكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1997. ج 2، ص 300 – 301.

[13] – فرائد المعاني، ج 2، ص 300 – 301.

[14] – المرجع نفسه، ص 408.

[15] – محمد بن محمد بن الجزري (ت 833 هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج برجستراستر، الطبعة 1، 1932. 171/2.

[16] –القاسم بن فيره الشاطبي، حرز الأماني ووجه التهاني، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة 4، 2005. ص 19.

[17] – فرائد المعاني، 575/2.

[18] – ينظر غاية النهاية، 285/2 – وبغية الوعاة، ص 121.

[19] – أحمد بن محمد المقري (1041 هـ)، نفح الطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 ج 2، ص 294 – وغاية النهاية، ج 2، ص 285.

[20] – ينظر نفح الطيب، ج 392/3.

[21] –أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، نيل الابتهاج، ج 43/1، تحقيق: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، طرابلس، 2000.، ج 43/1

[22] – سلوة الأنفاس، ج 127/2.

[23] – ينظر فرائد المعاني،24/1.

[24] – قراءة نافع عند المغاربة، 2/ 362.

[25] – ينظر الرجز بأكمله في الجزء المحقق من كتاب " فرائد المعاني " 1/ 46.

[26] – عبد الرحمن بن القاضي (1082 هـ)، بيان الخلاف والتشهير، تحقيق: د. محمد بوطربوش، ط 2016، ص 356.

[27] – قراءة نافع عند المغاربة، ج 2، ص 362.

[28] – المرجع نفسه، ص 362.

[29] – فرائد المعاني، 1/ 55.

[30] – فرائد المعاني، 1/ 6.

[31] – فرائد المعاني، 1/ 7.

[32] – خير الدين الزركلي (1396 هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 2002. 33/8

[33] – سلوة الأنفاس، 113/2.

[34] – محمد بن إبراهيم الشريشي (718 هـ)، القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع تحقيق: التلميدي محمد محمود، العنوان للطباعة والنشر، جدة، ط 1، 1993 م، ص 135.

[35] – بيان الخلاف والتشهير، ص 120.

[36] – نقلا عن فرائد المعاني، 1/ 185 من قسم الدراسة.

[37] – ينظر فرائد المعاني، 1، /2 – 7، من قسم التحقيق.

[38] – حرز الأماني، ص 14.

[39] – فرائد المعاني، 2/ 541.

[40] – حرز الأماني، ص 16.

41 – فرائد المعاني، 2/ 651.

42 – المصدر نفسه، ص 334.

43 – فرائد المعاني، 2/ 373 – 374.

44 – حرز الأماني، ص 13.

45 – فرائد المعاني، ج 2/ 515.

46 – حرز الأماني، ص 16.

47 – فرائد المعاني، ج 2/ 532.

48 – المصدر نفسه، ص 721.

49 – فرائد المعاني، 2/ 679.

50 – حرز الأماني، ص 17.

51 – فرائد المعاني، 2/ 371.

52 – المصدر نفسه، 2/ 332.

53 – في النقل عنه قال: " اختار شيخنا أبو عبد الله محمد بن القصاب مذهب ابن مجاهد في (يخل لكم) و(يبتغ غير...)، ينظر فرائد المعاني، 2/ 408.

54 – نقل عنه مشافهة فقال: " وقد سألت عن ذلك شيخنا أبا القاسم بن الطيب الضرير فقال ما هذا نصه... " ينظر فرائد المعاني، 2/ 575.

55 – نقل عنه ابن أجروم عند شرح قول الشاطبي: والأخرى كمد عنه ورش وقنبل... قال: " وكان شيخنا أبو مروان عبد الملك بن موسى... " ينظر فرائد المعاني، 2/687.

56 – فرائد المعاني، 2/ 341.

57 – المصدر نفسه، 2/ 329.

58 – بدر الدين الزركشي (794 هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار التراث، 1/ 419.

59 – فرائد المعاني، 2/ 356.

60 – المصدر نفسه، 2/ 359.

61 – فرائد المعاني، 2/372.

62 – المصدر نفسه، 2/397.

63 – المصدر نفسه،2/ 501.

64 – المصدر نفسه، 2/551.

65 – المصدر نفسه، 2 / 587 – 588.

66 – فرائد المعاني، 2/595.

67 – المصدر نفسه، 2/303.

68 – المصدر نفسه، 2/311.

69 – فرائد المعاني، 2/ 340.

70 –المصدر نفسه، 2/326.

71 –المصدر نفسه، 2/375.